ثالثاً: تعليقات ومناقشات

نصوص ضائعة من كتاب "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"

لأبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ)

هلال بن ناجي*

قــبل أكثر من ربع قرن من الزمن نشر العلاّمة د. إحسان عباس كتاب ابن بسام الموسوم "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" في ثمانية أجزاء. وكان الظفر بهذا الكــتاب كــاملاً في طبعة علمية –بعد إذ توقفت الطبعة المصرية عقوداً من السنين حتــى ألغــتها طــبعة إحسان عباس – يعدّ نصراً كبيراً في ميدان نشر النصوص الأندلسية المخطوطة الغميسةِ وإحسان عباس غنيٌّ عن التعريف، فقد حقق أكثر من خمــسين مصنفاً، وأكثر من ستة وعشرين كتاباً، هذا عدا المقالات العلمية المتناثرة في شتى الدوريات العلمية.

وقــد انصبّ جانب كبير من تحقيقاته على النصوص الأندلسية حتى عُد من أكثــر المحققــين المشارقة اهتماماً بالنصوص الأندلسية المخطوطة. وكان أبرزها كــتاب "نفح الطيب" للمقري وقد طبع في ثمانية أجزاء، و"الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام، وصدرت في ثمانية أجزاء أيضاً.

ولقد بذل الدكتور إحسان عباس جهوداً ضخمة للظفر بأصولها وتنقيتها من الاخــتلاط، ثــم إخراجها إخراجاً سليماً. وقد تنبّه أثناء عمله إلى وجود أسقاط في النصوص بضياع بعض التراجم أو أجزاء منها فأشار إلى ذلك.

---

*عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق ورئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين الأسبق والحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تحقيق المعجمات.

وخلال وُقُوفي على مخطوطة "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" للعمري أحمد بن يحيى بن فضل الله (قسم شعراء المغرب والأندلس) شدّت نظري نصوص أندلسية نُقلت من كتاب ذخيرة ابن بسّام لكنّها غير موجودة فيما نُشر منها. أي أنها من النصوص الضائعة المكمِّلة والمتممة للذخيرة المنشورة.

ورأيـت في جمعها ونشرها خدمة للكتاب بعد رحيل محققه عسى أن تظهر فـي طبعة ثانية. وأنا أهديها إليه وهو في عالم الخلود في ذكرى رحيله –رحمه الله رحمة واسعة–.

النصوص الضائعة

(١)

نص ضائع يخص ترجمة الشاعر عن الجليل بن وهيون المرسي [قال ابن بسّام، وقد ذكر واقعة اذفونش مع المعتمد ويوسف بن تاشفين فقال: وكان اذفونش قد اضـطره الخَـوَرُ يومئذٍ للفرار فتسنّم الجبال الشاهقة والأوعار العالية إلى أن جُنَّ الظلام، فنحا نحو الحارث بن هشام، برأس طمرّةٍ ولجام، فدخل طليطلة مع شرذمة من اتباعه قليلة، ونفوس طائفته مخذولة. فقال ابن وهيون، وذكر له شعراً من قوله:

نَمَـــى فـــي حميـــرٍ ونَمَـــتكَ لخـــم ... وتلـــك وشـــائجٌ فـــيها الـــتحامُ
فيوســـف يوســـفٌ إذْ أنـــت مـــنه ... (....) يعمكمـــــــا التـــــــئامُ
نَهَجْـــتَ لـــسيله نهجـــاً فوافـــي ... وفـــي آذيِّـــه الطامـــي عُـــرامُ
فَهِـــيل بـــه كثـــيبُ الكفـــرِ هـــيلاً ... وكـــلُّ رقـــيقةٍ مـــنه ركـــامُ
وصـــاروا فـــوق ظهرِ الأرض أرضاً ... كـــأن وهادهـــا مـــنهم أكـــام
عديـــدٌ لا يـــشارفه حـــسابٌ ... ولا يحـــوي جماعـــته زمـــامُ
تآلفـــتِ الوحـــوشُ علـــيه شـــتّى ... فمـــا نَقَـــص الـــشرابُ ولا الطعـــامُ
فـــإنْ يَـــنْجُ اللّعـــين فـــلا كَحُـــرٍّ ... ولكـــن مـــثلما يـــنجو اللـــئامُ]

(٢)

نص ضائع يخصّ ترجمة أبي الوليد البجلي[1] .

...[قـــال ابـــن بسام فيه: كان باقعة دهره، ونادرة عصره، ولم يَصِدْ دراهمَ ملـــوك أُفقنا إلاّ بحرٍّ النادرة، وكان يُضحك من حَضَرَ، ولا يكاد يتبسّم إذا نَدَّر، وهو القائل يصف طلوعَ الشمس ومقابلة القمر لها:

أمـــا تـــرى الـــشمس وهـــي تمـــنعُ ... عـــــنها إدامـــــة النَّظَـــــرِ
حمـــراء صـــفراء فـــي تَلَـــوُّنها ... كأنّهـــا تـــشتكي مـــن الـــسَّهَرِ
مـــثلَ عـــروسٍ غـــداة ليلـــتها ... تُمْـــسِكُ مـــرآتها مـــن القَمَـــرِ

---

(1) الصواب: النحلي.

قـــال ابـــن بسّام : ومن نوادر الآفاق، الحلوة المساق، الغريبة الاتفاق، خَبَرُ البجلـــي هـــذا مع المعتمد بن عباد، وذلك أنه مشت يوماً بين يديه بعضُ نسائه، في غلالـــة لا تكـــاد تفرق بينها وبين جسمها، وذوائب تخفي إياة الشمس في مُدلَهمّها، فسكب عليها إناء ماء ورد كان بين يديه، فامتزج الكلُ ليناً واسترسالاً، وتشابه طيباً وجمالاً، وأدركت المعتمد أريحية الطَّرَب، ومالت بعطفيه راحُ الأدب فقال:

وهويتُ سالبةَ النفوس غريرةً تختال بينَ أسنَّةٍ وبواترِ

ثـــم تعذر عليه المقال، وشغلته تلك الحال، فقال لبعض الخَدَم القائمين على رأسه : سِرْ إلى البجلي، وخُذْه بإجازة هذا البيت ولا تفارقه حتى يفرغ منه، فأضاف البجلي الأول إليه، وألحق هذه الأبيات عليه وهي:

راقـــتْ محاسُـــنها ورقَّ أديمُهـــا فـــتكاد تُبـــصرُ باطـــناً مـــن ظاهـــرِ
وتمايلـــت كالغـــصن أورقَ فـــي النقا والـــتفَّ فـــي ورقِ الـــشبابِ الناضرِ
يـــندى بمـــاءِ الـــورد مُـــسْبَلُ شعرها كالطـــلِّ يَـــسقُطُ مـــن جـــناحِ الطائرِ
تزهـــى بـــرونقها وحُـــسْن جمالهـــا زهـــدَ "المـــؤيد" بالثـــناءِ العاطـــرِ
ملـــكٌ تـــضاءلت الملـــوك لقـــدره وعَـــنا لـــه صـــرفُ الـــزمان الجائر
وإذا لمحـــــتَ جبيـــــنَه ويميـــــنَهُ أبْـــصَرْتَ بـــدراً فـــوق بحـــرٍ زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له: أحسنت، أو معنا كنتَ؟

فأجابه البجلي بكلام معناه: يا قاتل المحل، أو ما تَلَـــوتَ (وأوحـــى ربُّـــك إلى النحل) وله:

وأجـــدلٍ أقلقـــهُ طـــولُ القـــرَمْ
قحمـــتُهُ بـــين الكراكي فاقتحم
وعـــاد للكـــفِّ ومـــا شـــكا ألَمْ
يمـــسحُ مـــنقاراً عـــلاهُ منه دَمْ
ككاتـــبٍ يمـــسحُ حِبْراً من قَلَمْ]

تعلـــيق: وجدتُ الخبر كاملاً في نفخ الطيب ٣/٢٣٣- ٢٣٤، وفيه تصحيف في اسم قائل الأشعار فهو في النفح أبو الوليد النحلي، وأرجح ما ذهب إليه صاحب النفح، والنحلي من أهل بطليموس. وأورد الحكاية أيضاً ابن ظافر الأزدي في البدائع ص ١١٣- ١١٤. ونسب الشعر للنحلي أيضاً.

(٣)

تـــرجمة الـــشاعر أبـــي الحسن بن هارون الشنتمرّي ساقطة من الذخيرة المطبوعة، وفيها نص نقله العمري عن ابن بسام هو:

[وقـــال ابـــن بسّام فيه : وأبو الحسن هذا سهل الكلام، بارع النظام، ممّن اغترف من بحر الكلام بكلتا يديه، وجذب بثوب البيان من كلا طَرَفَيْه، فأمّا سَلَفُهُ من قبل فقد انخذع لهم الزمان بُرَيهةً، وهَيْتَم بأسمائهم السلطان هنيهةً، إلى أن نبَّه الدهرُ الغافلُ على أمرهم، وأسكتَ عن ذكرهم. وممّا أنشد له قولُه في أسدٍ من ذهَبٍ يَصُبُّ ماءً:

وحديقـــةٍ شَـــرِقت بِغَمْـــرِ نميـــرها ... يحكـــي صـــفاءَ الجـــوِّ صَفْوَ غديرها
تُجـــري المـــياهَ بهـــا أســـودٌ أُحكمَتْ ... مـــن خـــالص العقـــيان في تصويرها
وكأنَّهـــا أُسْـــدُ الـــشَّرى فـــي شـــكلها ... وكـــأنَّ صـــوتَ الماءِ صوتُ زئيرها

وقوله:

انظـــرْ إلـــى ثابـــتٍ علـــى طِـــرْقةْ ... قـــد سَـــلَّ ســـيفَ المـــنون من طَرْقةْ
وهـــزَّ مـــن قَـــدِّه لـــواء ردىً ... يُـــردي الـــصحيح الـــسليم مـــن حَنَقِهْ
يطـــوفُ بـــالحجِّ مـــنه بـــدرُ دجـــىً ... علـــى جـــوادٍ كالبـــرق فـــي خَطْفِـــهْ
يكـــادُ مـــن ليـــنهِ ونِعْمَـــتِهَ ... يعقـــدُ عقـــدَ العِـــنان فـــي نـــصْفِهْ]

(٤)

القطعة التالية من نثر أبي عبيد البكري ساقطة من الذخيرة المطبوعة. وقد تصدّر ترجمته قول ابن بسّام فيه "[وأورد من نثره قوله : وأنّى لي في هذا بإصابة عـــرضٍ أرْمـــيه، أو إضاءةِ سقطٍ أُريه، مع زمانة الزمان، وبلادة البلدة من قريحة قـــريحه، وطـــبعٍ طُـــبع، وخَيْمٍ وخيم، ونحوٍ قد نُبذ، ولُغةٍ جُعلت لغواً، وطالبُ العلم مُطالب، والمتحلّي بن مُخَلّى، وقضايا العقل معكوسة، وحظوظ الفعل منحوسة].

(٥)

تـــرجمة أحمد بن محمد بن حجاج سقطت من كتاب الذخيرة المطبوع، وقد نبّه محققها إلى ذلك في ص ٢٣٥، ٢٣٨ ق ٢ م١ منها.

قــال د. إحــسان عباس في هامش ص ٢٣٨ ما نصه (هنا تقع ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج ... وأرجو أن أوفق إلى العثور على الترجمة كاملة وإلحاقها بهذا القسم من الذخيرة). ولم يتح له العثور عليها.

[قــال ابــن بــسّام : من أسرةٍ طلعوا مع الكواكب كواكب، وملأوا عيون العجائــب عجائب، أهلُ بيتٍ عُمْدَةُ القنا والقنابل، وأطنابُهُ اللُّهى والفواضل، فصالَتْ دونَهُ القبائل، وتقاصر عنه الدهر المتطاول، ونَحَم هذا الرجل فكان بحبوحة شرفهم، وسابق سَلَفِهم وخَلَفهم، وقد خَرَّجتُ له ما يشهد أنه سريُّ أسرِبَة، وقريع أهل تجربَةْ. ومما أنشد له قوله:

المــوتُ مــوردنا إلــيه توضــعُ ... ونفوسُــنا طيــر إلــيه وُقَّــعُ
دُنــيا كعهــد المومــسات بقاؤهــا ... والــوغد يــضمنه اللئــيم الأكــوعُ
تجــري الــنفوسُ بهــا إلــى آجالها ... فــي مُــدَّةٍ هــي للمنــية مِهْــيَع
أيــن القــرون الــسابقات إلى النهى ... هــل مُقْلَــةٌ تــرنو وأذنٌ تــسمعُ

ومما أورد له من نثره:

أنا بين أمواج عَرْفك الغَدِق، كالمغمور الغَرِق، كُلّما رُمْتُ الوصول إلى فُلك الشكر لم أصل إليه، أو طلبتُهُ لم أقع عليه، فصرتُ كما قال القائل:

أقــبلتُ أرجــو فــضولَ نائلــهِ ... فَــصِرْتُ أشــكو مــن ســيبِه الغَرَقا

وإننــي لمّا ترادفَتْ عليَّ تلك الأمواج، وغمرني ذلك البحر العجاج أظفرني

الله بسفينة الدُّعاءِ، فوصلتُ إليها ونجوتُ عليها.

(٦)

فـــي ترجمة أبي أيوب سليمان بن أبي أمية سقط النص التالي المنقول عن الذخيـــرة. وهـــو هـــو [قال ابن بسّام وقد ذكره : فصل في ذكر الفقيه أبي أيوب، وإثـــبات جملة من نظمه ونثره اللذين عَطَّلا الدُّرَّ في النحور لا في البحور، وأخجلا الزهْـــرَ في الكمام، والمدام في أيدي الندام، وهو في وقتنا هذا بحر الأدب وساحِلُه، وسَـــنامُ العَـــرَب وكاهِلُه، وسنانُ المجد وعاملُه، ورافعُ لواءِ الحمد وحامِلُه. ودارت دولـــة المعـــتمد على أبيه مدارَ مذهب المدينة على مالك، وكانت ترجع إليه رجوعَ الحـــساب إلـــى فدلك (كذا)!. ونشأ ابنه الوزير أبو أيوب والخطابة تجنُّ به جنونُها، والكتابة تمدُّ إليه شمالُها ويمينُها، فنظر إليها بمؤخرعين لا يروى، إلاّ بشحظ كتاب، أو خطّة محراب، وأرعاها جانبَ سَمْعٍ لا يأنس إلاّ بدعوة مستقيل أو نعمة مستنيل، حتى انجابت لم يحلّ لها حُباه، ولا صَرَفَ فيها رأيَهُ ولا هواه، وقد أثبتَ مما وجدت له ما يملأ الأسماع، ويرُهف الطباع، وتجاوز حدّ الإجادة والإبداع. ثم ذكر شيئاً من شعره وقال: وهذه نبذة تظهر للقريب الغريب، اختلستُها خُلسة الذيب، واحتملتُ فيها مـــنه مـــضض اللوم والتثريب، لانتقائه جملةً عن الإقرار بالأشعار، واعتلائه عن الخطو في ذلك المضمار، اللهمّ إلاّ ما يجيءُ به عفواً واسترسالا، ويدبّ على لسانه نمالا (كذا) أو سحراً حلالا. وأنشد له قوله:

هفـــوت وأيّـــنا يعـــصي هـــواهُ اذا نَـــصَّتْ ســـوالِفَها الـــضِباءُ
فَـــدَعْ لومـــي فـــبعضُ الغـــيِّ رُشْـــدٌ حياتـــي أن يفارقنـــي الحـــياءُ

وقوله:

أمِـــسْكَ داريـــنَ حـــيّاك النـــسيمُ بـــه أم عنبـــرُ الـــشحر أم هـــذي البـــساتينُ
بـــشاطئ النهـــر حـــيثُ الـــنور مؤتلفٌ والـــراح تعـــبقُ أم تلـــك الـــرياحين

وقـــال ابن بسّام بأعقاب ما أنشد له من النظام : انتهى ما اختطفتُه من هذه الـــبدائع الروائع. وإذ قدْ أعوز إفساحها، واستمرّ مع الأيام والتياحها، فلنعقبها بما قد أشـــبهها كثـــرة طائـــل، وشرف قائل، ممّا قد استفدته فأجدته من كلام الوزير أبي الحسين القرشي العامري، الذي هو عقله المستوفز، وفرصة المنتهز، وتحفة الغلام المبرّز، وذلك قطعة شعر بل نفثة سحر، تتعلق ببعض ما أنشدت، وبه أشرتُ، قال يصف ما يوضحه فيستملحُه:

لله بالـــــربوة العلـــــياء ليلتُـــــنا ... والـــراح يأخـــذ مـــنّا والـــرياحينُ
أيـــام جـــادت لـــنا الدنـــيا بما ذخرتْ ... مـــن النعـــيم ولـــم يـــبخل بـــنا الدينُ
والعـــين مـــن أُمّـــة الرحمن قد مُلِئَتْ ... حُـــسْناً وأبْهَجَهـــا قُـــربٌ وتمكـــينُ
غـــرّاء يزهـــى بها خولان إن فخرت ... وإن تهـــادت فَـــنعمانٌ ويبـــرين
لا مـــثل مـــنطقها المعـــسول منـــشدهُ ... وإن يُحَـــيّا تناســـتنا أفانـــينُ
(أمِـــسْكَ داريـــن حـــيّاك النـــسيمُ به ... أم عنبـــرُ الـــشحر أم هذي البساتينُ)
يـــا روضـــةً بأنـــيق الحـــسن حاليةً ... وحـــسبُ روض الربى وردٌ ونسرين
هـــل تذكـــرين – فَدَتْكِ النفسُ من عِدَةٍ ... جَـــرَت بهـــا للهـــوى الكيرُ الميامينُ
وحـــاش للمجـــد أن لا يقتـــضى وطرٌ ... يغنـــي بـــه مـــنكِ ذاك اللطفُ واللينُ

ثـــم قال: أردتُ حُسْنَ التضمين لقول الوزير أبي أيوب، فانظر ما أبدع هذا الامتزاج والالتفات، وأبرع هذه الازدواج والائتلاف كما التقى الثريات، واتّسق سحر البيان، بل كماءِ الغمام، وصفو المدام. ولا غرو إن تعارفت تلك الأرواح وتشاكلت الطباع، فاطرد هذا الإغراب والإبداع].

(٧)

وســـقطت من الذخيرة المطبوعة ترجمة أبي الحسين القرشي العامري وها هي ذي:

وهو سالم بن محمد بن سالم بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي بن محمـــد بن أحمد بن مسلم بن طلحة بن مسلم بن عبد العزيز بن زمعة بن قيس بن عبد شـــمس بن عبد ودّ بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن

مالـك بن النضر. هكذا ساق نَسَبَهُ ابن بسّام. قال ابن بسّام : والنضر هو نبعة قريش الذي يضمهم دوحُها، ويعلّمهم روحها.

ثـم قـال ابـن بـسّام: ولله أبـو الحسن فإنّه جِلدةٌ بين الأنف والعين، فـإن يكـن قـد نمـاهُ الأبطح، وجلاّه الحَسَبُ الأوضح، فلقد باء بمزيّة الصهر الكـريم، وشـرف الحـديث والقـديم لأنّ عـبد زمعـة المعـدود مـن نفره، الموجـود فـيه كـريم جوهـره، هـو أخـو سودة – أم المؤمنين- زوج النبي صـلّى الله علـيه وسـلّم- وجـدّ جدّه إسماعيل هو الطالع على شرق الأندلس فـي سـلطان الحكـم المستنـصر بالله، رحل من مصر مع السنتين والثلاثمائة مـن دخـول بنـي عُبـيد إلـيها، واستيلائهم عليها، هاجراً للوطن، فاراً بدينه، وسـرّ يقينـه المـستبطن، وآثـر بـوفادته، وسـائر قادته، بني أمية على بني العـباس، لانـتظام بنـي عامـر فـي الحـروب العلوية معهم، ونزوعهم فيما شَـجَر بـين الـسلف منـزعهم، فحـلّ يومئذٍ لدى الحَكَم على السَعة والرحب، والـصاغية الكـريمة والقُـرب. وجعـل يُحَدِّث عن ابن سفيان وعن فُلٍ وفُلان مـن علمـاء مـصر فـي ذلك الزمان. فلمّا ثارت الدولة العامرية حين تقلّصت ظـلال قـريش، وتنكّـر لهـم مـا عهدوا بقرطبة من خفض العيش، أوى إلى أشـبيلية فأوطـنها داراً، واتخـذها قـرارا، وبهـا لَقِـيَهُ ابـن عبد البر علاّمة الأندلس، ومُحيي آثارها الدُرُس، فَدَرَس عليه، واقتبس ممّا لديه.

ثـم نقـل ابـن بـسّام مـا قيل في خبر هذا الرجل ثم قال: ولم يزلْ عَقِبهُ علـى تخـرّم المـنون، وتنكّـر الدهـر الخوؤن، ذوي العرض المصون، إلى أن

نَجَـم فـيهم هـذا النيّـر الثاقب، ونشأ هذا الصيِّب الناكب، فرجح بالجميع، وذهب بمـا هـنالك مـن عتـيد وبديع، مع أدبٍ كروض الحَزْن، ولؤلؤ الخَزْن، وبلاغة أربَـتْ علـى كـلّ ظـنّ، وبـراعةٍ أخذت من العلوم في غير ما فنّ، إلى شيمةٍ كالزلال، وهمّةٍ على قمة الهلال.

ومما أنشد ابن بسّام لهذا الرجل قوله:

لانَـتْ لـكَ الأيّـامُ بعـد شـماسِ ... وحللـتَ مـنها فـي ظـلام كـناسِ
وضَـفَتْ علـيك بـرودُ عـزّ أقعسٍ ... يبقـى ولا يبلـى بطـول لـباسِ
وجَـرَتْ سـعودُك غير وانية المدى ... جَـرْيَ الخلافـة فـي بنـي العـبّاسِ
أنـتَ الـذي بـك للمكـارم هِـزَّةٌ ... ليـست لفـرع الـبانة المـيّاس
مـا مالـكُ ابـن الـذئب أو ما حاتم ... كُـلاً سـبقتَ إلـى الـندى والـباسِ
لهفـي علـى تلـك النُهـى مُنـثالةً ... بغـرائب الآداب والإيـناس
أغـدو إذا عاطيـتُها وكأنّمـا ... لَعِـبَتْ بأعطافـي حُمَـيّا الكـاسِ
إنْ فـرّقَ الدهـرُ المُـذَمَّمُ بيننـا ... فالدهـر للأحـرار غيـرُ مواسـي
واهـاً علـى عَهْـدٍ بمنعـرج اللِّوي ... لَـدْنٍ كمـا اهتـزّ القـضيبُ الكاسي
وإليـكَ مـن سـرّ الـضلوع تحـيةً ... تـندى علـى مُتَـضَرِّمِ الأنفـاس

وقوله:

سـقى الروضَ مُختالاً به العَلَمُ الفَرْدُ ... مُلِـثٌّ لجـيد الزهـر مـن نظمه عقدُ
وحَـيّا الأراكُ الـدوحَ تهفو به الصَّبا ... كمـا رُنِّـح النـشوانُ سـاوَرَهُ الوَجْدُ
ولا بَـرَحَتْنا نفحـةٌ يمنـيَّةٌ ... تجافـى لهـا عـن سرِّها البانُ والرندُ
وبالخـيمة القـصوى عقـيلةُ رَبْرَبٍ ... لِبَـرْدِ ثـناياها علـى كـبدي بَـرْدُ
لتـصغي إلـى الجِرْسِ الخفيِّ لعلّني ... خلـصتُ ودونـي للعـدى حَدَقٌ رُمْدُ
وليلتـنا بالجـزع والطـلُّ سـاقطُ ... ودونـيَ فيـنانٌ مـن الآيـات ممـتدُّ
يحـوم ولا إلمـام إلا بسلـسلٍ ... على الرشف ما الصهباءُ منه ولا الشَّهْدُ
ومـن دون نجـوانا استماعةُ صاحبٍ ... تواصَـتْ لـدى كـتم السرار به الهندُ
تُقاوضُـهُ النكـباءُ سـرَّ حديـثها ... فـتطويهِ إلاّ مـا جنـى المـسكُ والندُّ
خليلـيَّ هـل ليلـى ونجـدٌ كعهدنا ... فـيا حـبّذا ليلـى ويـا حـبَّذا نَجْـدُ

وهذه هي النصوص الأندلسية التي سقطت من ذخيرة ابن بسّام، وظفرنا بها في مخطوطة باريس من كتاب مسالك الأبصار للعمري.

وبعد : فقد كانت الشام الكبرى بأقسامها الأربعة: فلسطين والأردن وسورية ولبـنان منـبعاً ثرّاً للكفاءات في مختلف العصور، فحين جنحت شمس العلاّمة د. إحـسان عباس إلى المغيب، لأسباب صحية، كانت شمس العلامة د. محمد رضوان الدايـة – وهو شامي من سورية- قد استقرت في كبد سماء الدراسات والتحقيقات الأندلسية في المشرق العربي. وكان من آثاره في هذا الميدان ما يمكن تصنيفه في جذمين رئيسيين : الأول نصوص أندلسية محققة، والثاني : دراسات أدبية صنّفها.

فأما الجذم الأول فقد ضمّ النصوص المحققة الآتية:

١- المعيار في أوزان الأشعار لمحمد بن عبد الملك الشنتريني – بيروت ١٩٦٨.

٢- إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلايمي – بيروت ١٩٦٦.

٣- نثير فرائد الجمان لابن الأحمر – بيروت ١٩٦٧.

٤- شرح الحماسة المغربية- جزءان.

٥- شرح مشكل شعر المتنبي – ابن سيده الأندلسي – دمشق ١٩٧٥.

٦- آيات المبرزين وغايات المميزين: ابن سعيد – دمشق ١٩٨٧.

٧- ديوان ابن عبد ربه – بيروت ١٩٧٩.

٨- رسائل ابن أبي الخصال – دمشق ١٩٨٨.

٩- سعيد بن جودي السعدي الألبيري الأندلسي – سيرته ومجموع شعره- ١٩٧٧.

١٠- نثير الجمان في شعر من نظمني وإيّاه الزمان :ابن الأحمر – ١٩٧٦.

١١- ديوان ابن خاتمة الأنصاري- دمشق ١٩٧٢.

١٢- ديوان ابن إسحاق الألبيري الأندلسي – بيروت ١٩٧٦.

١٣- الحدائق والجنان – ديوان بني فرح شعراء جيان- أبو ظبي ٢٠٠٣.

وأمّا الجذم الثاني فيضم الدراسات الآتية:

١- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس – بيروت ١٩٦٨.

٢- في الأدب الأندلسي - دمشق ٢٠٠٠.

٣- أندلسيات شامية - دمشق ٢٠٠٠.

٤- الأدب العربي في الأندلس والمغرب.

٥- أبو البقاء الرندي- شاعر رثاء الأندلس- بيروت ١٩٧٦.

٦- ابن خفاجة- دراسة - دمشق ١٩٧٢. وغيرها.

وبعد فهذه بعض جهود محمد رضوان الداية في حقل الأندلسيات تحقيقاً وتأليفاً. حتى جاز لي أن أقول:

"رَحَلَ إحسان وآلت الراية إلى رضوان"

رحم الله الأول وأمدّ في عمر الثاني

والحمد لله أولاً وآخراً.